

الفاتيكان، 28 أغسطس 2021

عيد القديس أوغسطينس

Prot. N. 210207

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء المدعوون إلى الحياة الرهبانية والتأملية،

كثيرًا ما دعا الأب الأقدس فرنسيس في تعليمه، الكنيسة جمعاء إلى ضرورة وجمال "السير معًا"، لبدء مسيرة سينودسية تشمل " جميع مستويات حياة الكنيسة" (وثيقة المسيرة السينودسية، 3). يؤكد البابا "المسيرة السينودسية هي ما يتوقعه الله من كنيسة الألفية الثالثة" (خطاب الأب الأقدس فرنسيس بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس سينودس الأساقفة، 17 أكتوبر 2015). بشكل ملموس، ستُفتتح هذه المسيرة السينودسية في الكنائس الخاصة اعتبارًا من أكتوبر 2021 وتنتهي في أكتوبر 2023، مع الاحتفال بسينودس الأساقفة في روما (راجع وثيقة المسيرة السينودسية).

أتوجه إليكم، أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، عند اقتراب هذه المرحلة الحاسمة جدًا للكنيسة في عصرنا، لأنكم بدعوتكم الثمينة التي تُثري الجماعة الكنسية بأكملها، حراس وشهود على الوقائع الأساسية للمسيرة السينودسية التي يدعونا الأب الأقدس إلى تنفيذها. أعتقد أن هناك ثلاث كلمات، محورية في الحياة الرهبانية والتأملية، التي تحافظون عليها في حياة الكنيسة وفي المشاركة مع الإخوة والأخوات: الإصغاء، والتوبة، والشركة.

أولًا، وقبل كل شيء، "الإصغاء". يؤكد الأب الأقدس في الخطاب المذكور أعلاه أن " الكنيسة السينودسية هي الكنيسة التي تصغي، مدركة الإصغاء " أكثر من مجرد سماع". وضعت الحياة الرهبانية والتأملية خبرة الإصغاء دائمًا في المركز، لدرجة أن القواعد الرهبانية للتعاليم المختلفة في كثير من الأحيان، ليست إلا مجموعة آيات من الكتاب المقدس خاصة الإنجيل، للتأكيد على أن الحياة الرهبانية والتأملية "تجسيد" لكلمة الله، المصغى إليها والمتأمل فيها، والمستبطنة. في هذا الصدد، لا يمكن إلا أن نشير إلى بداية قواعد القديس (بنديكس)، أبي الرهبنة الغربية: " أصغ يا بُني! " (مقدمة القواعد البندكتية). هذه الدعوة للإصغاء تتخلل حياتكم بأكملها، بدءًا من كلمة الله في الكتب المقدسة، لتصل إلى الإصغاء إلى الإخوة والأخوات في الجماعة، وإلى الرجال والنساء في عصرنا. يتعلم المرء الإصغاء،

لأنّ " هذا أكثر من مجرد سماع" عضوي. حياتكم مركزُ تدريبٍ للإصغاء حيث تُربّي المواظبة على الكتب المقدّسة أيضًا، " مثلَ طفلٍ يرضع اللبن من ثدي الأم" (أفرام السوري)، على الإصغاء العميق لأنفسنا، وللآخرين، ولله. إنّ الاستقبالَ نفسه، الشائع جدًا في الجماعات الرهبانية والتأملية، هي تجربة ضيافة وإصغاء، تجد مصدرها في وجود الكتب المقدّسة في القراءة الربّانية، وفي النهج الروحي الآخر لكلمة الله.

ثانيًا، " التوبة" هي من المفردات التي تميّز حياتكم وأودّ الإشارة إليها. يؤكّد الأبّ الأقدس أنّ " السير معًا - علمانيين ورعاة وأسقف روما - مفهومٌ يسهلُ التعبير عنه بالكلمات، ولكن ليس من السهل أن يبقى موضع تنفيذ". يستحيلُ فصلُ المسيرة السينودسية الحقيقية عن الاستعداد للسماح لأنفسنا بالتوبة من خلال الإصغاء إلى كلمة وأفعال الروح القدس في حياتنا. تُذكّر الحياة الرهبانية والتأملية الكنيسة بأكملها، بأنّ الدعوة إلى التوبة تكمن في قلب إعلان يسوع نفسه، السائر في قرى الجليل، قائلاً: "ثوبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت 4: 17). إنّ المعمودية دعوة أساسية لكلّ تلميذ وتلميذة للرب، هي في الأساس أولُ توبةٍ يقوم بها الروح القدس في قلوبنا، ولكن لكي تكون الحياة المسيحية بأكملها أصيلةً، تحتاج إلى أن تبقى مفتوحةً على طريق التوبة إلى الله وكلمته. أيضًا، من وجهة النظر الإنسانية البحتة، نعلم الإصغاء الحقيقي يتطلّب التوبة المتبادلة التي تقودنا إلى ترك يقيننا، من أجل أن ندخل في ساحة حوارٍ ليست سهلةً، ولكن لا غنى عنها. في تجربتكم في الحياة الجماعية، التي يجب أن تكون فيها السينودسية عنصرًا أساسيًا، أنتم تدركون جيدًا ليس "جمال" السير معًا فقط، بل وأيضًا الصعوبات الحتمية والجروح المحتملة. لهذا السبب أيضًا، من أجل المسيرة السينودسية التي اقترحها الأبّ الأقدس على الكنيسة الجامعة، فأنتم "خبراء" في حالة التوبة سواء في الجوانب الإيجابية، أو في الصعوبات التي يجب ألا تُضعف العزيمة، بل يجب أن تُعاش حقيقة بروح الإيمان والرجاء.

ثالثاً، " الشركة " التي تحفظونها من أجل الجميع. يصرّ البابا على هذا البعد أيضاً في إشارة إلى خدمته كأسقف روما. ويقول: " الحقيقة أنّ السينودس يعمل دائماً مع بطرس وتحت أنظار بطرس ... إنه ليس تقييداً للحرية، بل ضماناً للوحدة ". تشهد حياتكم أيضاً على هذا: إنّ الشركة هدف الإصغاء والتوبة. أنتم تعلمون جيداً في جماعاتكم الشركة المعيار النهائي للتمييز والتحقّق من المسيرة السينودسية. دعونا نفكر في قصة تلميذي عمواس الذين اقترب منهما الربّ على طريق خبيّة أملهما وتقهقرهما (لوقا 24: 13-35). تنتهي حادثة لوقا بمشهد من "التحقّق الكنسي" الذي يمثّل نقطة وصول القصة: ^{٣٣} فَمَا فِي تِلْكَ أَسَاعَةٍ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَوَجَدَا الْأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ، هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ ^{٣٤} وَهُمْ يَقُولُونَ: «إِنَّ الرَّبَّ قَامَ بِالْحَقِيقَةِ وَظَهَرَ لِسَمْعَانَ!» (لو 24: 33-34). الشركة الكنسية حتم التمييز والتحقّق من المسيرة السينودسية. أنتم من خلال حياتكم الجماعية، تشهدون على مصداقية هذا التأكيد الذي يمكننا استخلاصه من قصة عمواس. في الواقع، في الحياة الجماعية، الخاصة بالحياة الدينية، تختبرون كيف أنّ الشركة التي لا تتوافق مع التطابق، هي فعلياً معيار التحقّق من مسيرة مشتركة أصليّة من منظور الإيمان.

لكنّ السبب الذي يدفعني إلى الكتابة إليكم، قرب افتتاح المسيرة السينودسية في أكتوبر المقبل، يحتوي على كلمة أخرى تنتمي إلى أعماق أوتار دعوتكم: " الصلاة ". مصطلح مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمصطلحات الثلاثة الأخرى التي انتهينا منها للتوّ. غالباً، يكرّر قداسة البابا فرنسيس: " صلّوا من أجلي!". اليوم أطلب منكم، أن أفسّر أيضاً المعنى الذي يريد البابا أن يمنحه للمسيرة السينودسية: " صلّوا من أجل السينودس!". إذا لم تكن المسيرة السينودسية في المقام الأول مسيرة كنسية من المحبة، في الآب ومن أجل المسيح وفي الروح، فمن المؤكّد أنّها لا تستطيع أن تؤتي بالثمار المنتظرة. الصلاة هي اللقاء الديناميكي للمحبة في الله الثالوث: في الوحدة المتعدّدة الأشكال التي تدفعنا إلى الشهادة الحيّة. يوصي الأبّ الأقدس فرنسيس في فرح الإنجيل فيما يتعلّق بالتبشير أن نكون "مستدّين إلى الصلاة التي، بدونها، يُخشى على كلّ عمل أن يبقى عديم الجدوى، وعلى البشارة، في النهاية، أن تقتد إلى نفس" (فرح الإنجيل، 259). فتوجد خدمة التسبيح والصلاة وأنتم العلامة الحيّة لها في الكنيسة. ويدعو صاحب المزامير في المزمور 134 اللاويين وكهنة الهيكل في أورشليم لباركوا الربّ "نهاراً وليلاً" ويرفعوا أيديهم في الصلاة المتواصلة. هناك أشخاص مختارون من بين الشعب، لديهم مهمة لا تغيب أبداً، ليلاً ونهاراً وهي خدمة الصلاة والتسبيح في هيكل الربّ. لا يحلّ الكهنة واللاويون

محلّ الشعب في خدمة الله، بل هم علامة حيّة للتسبيح الدائم المرتفع باستمرارٍ إلى العليّ من المؤمنين، على الرغم من عدم وجودهم في الهيكل. إسرائيل هو "شعب الكهنة". قال الرب لموسى: وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً (خر 19: 6). لذلك، كلُّ الشعب لديه مهمة في وسط البشرية أن يكون "وسيطاً" مع الله ويرفع التسبيح له. ومع ذلك، يوجد بين الشعب بعض الذين لديهم مهمة التعبير عن هذا البعد وإظهاره الذي يخص إسرائيل كلّها، ورسالته وسط الأمم جميعها. في ضوء هذا النص، يمكننا أن نفهم القيمة الأصيلة لخدمة الصلاة والتسبيح التي تحفظونها بالدعوة: لديكم مهمة في الجماعة: هي القيام بخدمة الصلاة والشفاعة والمباركة. في هذه المرحلة من المسيرة السينودسية لا أطلب منكم الصلاة بدلاً من إخوانكم وأخواتكم الآخرين، بل أن تبقوا منتبهين من أجل الجميع إلى البعد الروحي للمسيرة التي نخوضها، لكي تكونوا قادرين على رؤية عمل الله في حياة الكنيسة الجامعة والكنائس المحليّة الخاصّة. كونوا للجميع، مثل اللاويين "خدام الصلاة" الذين يذكرون الجميع أثناء التسبيح والشفاعة، بأنّه دون الشركة مع الله يستحيل أن تكون هناك شركة فيما بيننا.

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، أردتُ أن أخطبكم في هذا الوقت الذي نستعدُّ فيه للقيام بالمسيرة السينودسية؛ لأطلب منكم أن تكونوا حراساً للجميع "رثة الصلاة" (فرح الإنجيل، 262). إنّ مساهمتكم في المراحل المختلفة من مسيرتنا السينودسية لن تقفد بالتأكيد جوانب أخرى، ولكن دعوتكم تساعدنا، حتّى بحضورها فقط، على أن نكون كنيسة مصغيّة إلى الكلمة، قادرة على السماح للروح القدس بتبديل قلبها، "مواظبون على الشركة والصلاة" (أع 2: 42).

الكاردينال ماريو جريش

الأمين العام

- 1) مكتوبٌ أنّ الجماعاتِ الرهبانيةَ مراكزُ تدريبِ الإصغاء: ماذا يعني "الإصغاء" بالنسبة لها/لكم؟ (ما هي مكانةُ الإصغاءِ في التعاليمِ الرهبانيةِ، وكيف يُنفَّذُ وما هي فوائده؟)
- 2) مكتوبٌ أنّكم خبراءٌ في حالةِ التوبة: كيف تتمُّ هذه التوبةُ بالنسبةِ لها/لكم؟
- 3) مكتوبٌ أنّ هدفَ الإصغاءِ والتوبةِ الشركةُ التي لا تعني التطابق، بل الشركةُ هي أيضًا المعيارُ النهائيُّ للتمييزِ والتحقُّقِ في المسيرةِ السينودسيةِ. في هذا الوقتِ الذي يوجدُ فيه ميلٌ إلى التأكيدِ على "الفرديةِ" والاستقطابِ، حيث يبدو أنّ رغباتِ كلِّ شخصٍ وأفكاره مبنيةٌ على حقوقٍ وحقائقٍ عالميةٍ، فهل يمكنُ أن تصبحَ الشركةُ ممكنةً حتّى في اختلافِ الآراءِ؟
- 4) داخلَ شعبِ الله، يتمُّ تكليفُ أعضاءِ الجماعاتِ الرهبانيةِ بـ "خدمةِ التسييحِ والصلاة". إلى أيِّ مدَى ستحرصون على الصلاةِ من أجلِ المسيرةِ السينودسيةِ؟